



المناسبة وأثرها في انسجام الخطاب القرآني

دراسة في سورة الأنعام

Munāsaba and Its Role in the Coherence of Qur'anic Discourse

A Study of Sūrat al-An'ām

خديجة كلاتمة*

جامعة العربي بن مهيدي أم
البواقي الجزائر

khadidjakelatma@gmail.com

الملخص:

معلومات المقال

تسعى هذه الدراسة إلى استنتاج البنية اللسانية النصية للخطاب القرآني، وقد أخذنا سورة الأنعام كنموذج للتحليل، واستعنا في ذلك بعلم من علوم التفسير وهو علم المناسبة الذي يهدف إلى كشف العلاقات الدلالية بين آيات القرآن الكريم، وربطها بالسياقات الخارجية التي تساعد في كشفها، وقد اجتهد العلماء في كشف العلاقة بين اسم السورة ومضمونها، وعلاقة بداية السورة بخاتمتها والعلاقات الدلالية بين الآيات التي تجمعها فاصلة قرآنية واحدة، وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: أن الخطاب القرآني كل متكامل محكم الآيات ولعل علم المناسبة بمختلف فروعه جاء ليثبت هذا الإعجاز القرآني وهو اجتهد قام به علماء التفسير ليبرزوا عظمة هذا النص المحكم، ويقابل علم المناسبة كثير من مباحث اللسانيات النصية الخاصة بالانسجام النصي

تاريخ الارسل:

2025/12/19

تاريخ القبول:

2026/06/06

تاريخ النشر:

2026/06/14

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الانسجام النصي
- ✓ علم المناسبة
- ✓ الخطاب القرآني

Abstract :

Article info

This study explores the textual structure of Qur'anic discourse through Sūrat al-An'ām, using the science of munāsaba to reveal semantic relationships among verses and their contextual coherence, including links between the sūrah's name, its content, and its opening and conclusion.

The study arrives at several findings, the most important of which is that Qur'anic discourse constitutes an integrated and coherent whole, with verses that are perfectly structured. The science of munāsaba, in its various branches, serves to demonstrate this Qur'anic inimitability; it represents an exegetical effort by scholars to highlight the greatness of this well-structured text. Moreover, the science of munāsaba corresponds to many topics in textual linguistics, particularly those concerned with textual cohesion and coherence.

Received

19/12/2025

Accepted

06/06/2026

Published

14/06/2026

Keywords:

- ✓ Textual coherence
- ✓ The science of munāsaba
- ✓ Qur'anic discourse

1. مقدمة

حاول اللسانيون المحدثون تحديد آليات انسجام النص/ الخطاب وكيفية اشتغالها وعملها داخله، وتحقيقها التماسك الدلالي بين أجزائه المختلفة، لأن الخطاب/ النص عبارة عن جملة من القضايا مرتبطة بعضها ببعض ومتداخلة، والعلاقات بين هذه القضايا لا تكون في تجاورها وحسب بل تكمن في إيجاد روابط دلالية تحقق الانسجام الدائم، ويعد الباحثون الانسجام أهم ضابط للنص/ الخطاب إذ يحتوي مجموعة من العناصر تجعله أعم من الاتساق، فالخطاب إذن حدث كلامي ينقل النص من حالة مجردة إلى تحقيق فعلي، فهو متعلق بالمعنى العميق ويشرك في هذه العملية كلاً من المتكلم، والمتلقى، والتأويل، لأن الانسجام شيء غير معطى بل ينبغي العثور عليه. و القرآن الكريم خطاب لغوي وهو «نظم على تصرف وجوه واختلاف مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلام العرب ومباين للمألوف ومن ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد وقال عنه طه حسين: «إن القرآن ليس نثراً كما أنه ليس بشعر، إنما هو قرآن، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم، ليس نثراً لأنه قيّد بقيود خاصة به، ولا توجد في غيره، وهذه القيود التي يتصل بعضها بأواخر الآيات، وبعضها بتلك النعمة الموسيقية الخاصة، فما هو شعر ولا هو سجع متكلف ملتزم، ولا نثر مرسل إرسال الحديث ولا خطابة طنانة متفهيقة وإنما هو نخب بديع الكلام العذب المحكم، البالغ الروعة في آدائه، الشريف غاية الشرف في معانيه ومقاصده (الصديق، 2005، صفحة 53)،

وقدّم علماء التفسير ما كان بوسعهم واجتهدوا في دراستهم للخطاب القرآني بغية الكشف عن أسرارهِ وسر إعجازه، فتناولوه من زوايا عديدة كدراسة أسلوبه، الإعجاز البياني، النظم، علم المناسبة الذي كان محط اهتمام علماء التفسير كونه علماً شريفاً يأخذ ظهر أول ما ظهر على يد الإمام الجليل "أبي بكر النيسابوري"؛ فكان قبل البدء في تفسير آيات القرآن يعتمد أولاً إلى استظهار السبب في كون هذه السورة تأتي بعد السورة التي سبقتها وقبل التي بعدها (الزركشي، البرهان في وجوه لبيان، 2006)، وتظهر العلاقة بين علم المناسبة وآليات الانسجام النصي أن كلاهما يبحثان في موضوع الخطاب وتعدد الموضوعات داخله، وتغيير موضوع الخطاب وحسن التخلص والانتقال من موضوع إلى آخر. كذلك كلاهما يبحثان في دور السياق الخارجي في خلق الانسجام بين موضوعات الخطاب وترتيبها.

أهداف الدراسة:

وتسعى هذه الدراسة إلى كشف طريقة عمل آليات الانسجام النصي داخل الخطاب القرآني، كما تهدف إلى تحقيق بعض التقابلات بين علم المناسبة الذي يبحث في العلاقات الدلالية بين آيات القرآن الكريم وما تقدمه اللسانيات النصية الحديثة من مبادئ في التحليل النصي.

إشكالية الدراسة:

كيف نظر علماء التفسير لهذا العلم (المناسبة) وكيف استطاعوا كشف العلاقات الدلالية بين الآيات وترتيبها المتناسب رغم نزولها في أوقات متفرقة ومتفاوتة؟ كيف لسورة ترتب وتوضع بهذا الموضع؟ وكيف لآيات تنتظم بهذا التنظيم؟ وكيف يحدث الانسجام الدلالي في

سورة تعددت موضوعاتها؟ كل هذا دفع العلماء إلى البحث في تلك العلاقات الدلالية التي تجعل السور والآيات تتناسب وتنسجم ويكون فيها الجزء و الكلّ كلاً متكاملًا.

الفرضيات :

الخطاب القرآني كل متكامل منسجم محكم الآيات وقد ورد هذا في سورة هود في قوله تعالى: □ **الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝ ١** □

مما يجعلنا لا نشك لحظة في تماسك هذا الخطاب وانسجامه ، لذلك فإن الفرضية التي سننطلق منها أن علماء التفسير قد وجدوا أرضية خصبة جعلتهم يجتهدون في كشف العلاقات الدلالية بين آيات السور وبين اسم السورة ومضمونها، وبين فاتحتها وخاتمتها والمناسبة بين الفواصل القرآنية في السورة الواحدة، ألا وهي معرفة أسباب النزول؛ أي البحث في السياق الخارجي الذي يساعد كثيرا في معرفة دلالة ومعاني الألفاظ والسياقات التي انتظمت فيها الآيات التي نزلت متفرقة.

المنهجية: اتبعنا في دراسات المنهج الوصفي والاستعانة بآليات التحليل اللساني النصي المناسبة لهذه الدراسة

2. المعنى المعجمي للمناسبة:

ورد في اللغة «المناسبة : المشاكلة، يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي مشاكلة وتشاكل، وكذا قولهم: لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قريبة، (الزبيدي، 1994، صفحة 470)، والمناسبة في اللغة المقاربة ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العمّ ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس الوصف المقارب للحكم (الزركشي، 2006، صفحة 36)»، ويذكر الفائدة من هذا العلم هو جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا ببعض فيقوى الارتباط ويصبح التأليف مثله مثل البناء المحكم الصنع ومتلائم الأجزاء.

فالمناسبة في المعنى المعجمي تعني : التقارب ، التشاكل، القرابة، الوجه الجامع وهذا الأمر لا يكون إلا بين جزئين أو أكثر من ذلك.

3. المعنى الاصطلاحي للمناسبة:

أورد الزركشي في متابه البرهان تعريف ابن العربي في سراج المريدين لعلم المناسبة فقال : « هو ارتباط آي القرآن القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني » (الزركشي، البرهان في جوه البيان، 2006)، ف" ابن العربي " يجعل المناسبة بين الآيات علما يبحث في العلاقات الدلالية والنحوية بين آي القرآن الكريم، والأمر لا يختلف عند السيوطي الذي وضع تفاصيل هذا العلم، فيرى بأنه يبحث في تلك العلاقات التي تربط آيات القرآن وتعمل على تماسكها دلاليا، ويرى بأن المرجعية بين الآيات بين الآيات تكون لأسباب وروابط بينها عامة كانت أو خاصة، وحسية، أو خيالية ومن العلاقات كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين وغيرها من العلاقات التي تعمل على نظم الآيات (السيوطي، صفحة 978)، ومن العلماء الذين أوردوا شواهد قرآنية نجد البقاعي الذي ألف كتابا وسمه بنظم الدرر في تناسب الآيات والسور، وهو في الأصل كتاب في التفسير تناول فيه بعض أنواع المناسبة بين السور أو بين الآيات الألفاظ والسياق الذي ترد فيه، كما أَلَفَ فيه السيوطي كتابا وسمه بأسرار ترتيب القرآن ومن

أشكال المناسبة التي أوردتها البقاعي مناسبة سورة البقرة لفاتحة الكتاب؛ حيث يعقد وجه ذلك التناسب بقوله أنه لما سبحانه وتعالى أخبر في سورة الفاتحة أن عباده سألوا الله الهداية إلى صراط مستقيم على عكس سبيل الهالكين، وأن الهدى المسؤول في هذا الكتاب المبين كما وصف لهم كلا من الفريقين الممنوحين الهداية والممنوعين عنها ولهذا ناسب أن تكون البقرة بعد الفاتحة، ذلك انما تنفي أن يكون هناك ريبا في هذا الكتاب وأنها هدى للمتقين (شعبان، مصطفى عبد الحميد، 2007، صفحة 38)

3. أنواع المناسبة:

أورد السيوطي في كتابه تناسق الدرر في تناسب السور أنواعا كثيرة من المناسبة في الخطاب القرآني نذكرها كالآتي (السيوطي، 1986، صفحة 65):

- بيان مناسبات ترتيب السور حكمه ووضع كل سورة منها
- بيان أن كل سورة شارحة لما أُجمل في السورة التي قبلها
- وجه اتلاف فاتحة الكتاب بخاتمة السورة التي قبلها
- مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيق له، وذلك براعة الاستهلال
- مناسبة أوائل السورة لأواخرها
- مناسبة ترتيب الآيات، واعتلاق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها وتناسبها
- بيان فواصل الآي ومناسبتها للآيات
- مناسبة أسماء السور لها

وهناك من يقسمها إلى المناسبة المتعلقة بالألفاظ، والمناسبة الصوتية والمناسبة اللفظية

سورة الأنعام:

تعالج جملة من القضايا تحاول أن تجيب الإنسان على ثلاثة أمور تحيish في صدره وكثيرا ما يقف العقل البشري أمامها عاجزا ضعيفا لا يصل فيها الإنسان إلى القول الفصل إلا عن طريق الوحي المرشد الذي ينجي صاحبه من الزلل (شلتوت، صفحة 375)، وهذه القضايا الثلاث متمثلة في قضية الألوهية وعبادة الله وحده وقضية الوحي والرسالة وقضية البعث والجزاء والآيات الأربع الأولى تضم هذه القضايا الثلاث؛ فهي تنظر إلى توحيد الله سبحانه كما أنها تثبت استحقاقه الحمد، فوجه العقول إلى خالق هذا العالم في مادته وجوهره، في خواصه وآثاره فمن سواه يستحق الحمد والثناء فهو مصدر كل خير والمنعم على عباده بقدرته جل شأنه، ودلت الآية الثانية على قضية البعث والجزاء فإذا كان الله هو الخالق وهو المصور والمنشئ والمدير المتصرف في الإنسان وباقي الكائنات، فكيف لهذا الإنسان أن يشك في يوم يكون فيه بعث ويكون فيه جزاء، وهو اليوم الذي ينتقل فيه الإنسان إلى حياة الكمال المطلق الذي تتجلى فيه صفات الرحمة الإلهية بأوسع معانيها (شلتوت، تفسير القرآن الكريم، صفحة 378)، أما الآية الثالثة فهي تتحدث عن خاصية الألوهية وقدرة الله عز وجل وشمولية العلم عنده، أما الآية الرابعة فهي تخبرنا أن الله آيات يبعث بها رسالة وأنبياء إلى الأمم وهي آيات

الشرائع والأحكام و الخلق والإتيان ولكن الناس يعرضون عن هذه الحياة ليلهون عنها بحياة اللهو والعبث فتاتي آيات الله لتودع ما كان منهم من إعراض واستهواء وكفر (شلتوت، تفسير القرآن الكريم، صفحة 377)

1.3 مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها:

لاحظ العلماء أن فواتح السور وخواتمها لها أهمية بالغة في كشف العلاقة القائمة بين السورة السابقة واللاحقة، والوجه الجامع بينهما، فمثلا في سورة الحديد التي تفتتح بالتسبيح قال تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحديد/الآية 1، المناسب لما ختمت به سورة الواقعة التي تأمر بالتسبيح قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الواقعة/الآية 69، ويذكر الزركشي المناسبة العجيبة بين سورة الكوثر وسورة الماعون التي جاءت في شكل مقابلة فبعد أن وصف الله عز وجل في سورة الماعون أمور أربعة يتصف بها المنافق من بخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، تأتي سورة الكوثر لتقابل هذه الصفات فالبخل يقابله قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ وفي مقابل ترك الصلاة فعل الأمر ﴿صَلِّ﴾ أما ﴿لِرَبِّكَ﴾ (فيقابلها منع الماعون)، أما النحر فيقصد به التصديق بلحم الأضاحي على الناس، (الزركشي، 2006، صفحة 38)

أما سورة الأنعام هي موضوع دراستنا نجدها قد افتتحت بالحمد وما قبلها سورة المائدة وما بعدها سورة الأعراف، فما وجه المناسبة والمجاورة بين هذه السورة؟ يذكر "السيوطي" أن المناسبة التي جمعت بين الأنعام والمائدة ان ما ختمت به المائدة هو فصل في القضاء بالحق فناسب أن تبتدئ سورة الأنعام بالحمد (السيوطي، الإتيان، صفحة 986) وهذا كما جاء في سورة الزمر الآية 75 من قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، كما يذكر أن قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الآية 120، هو إجمال وما افتتحت به سورة الأنعام هو تفصيل لهذا الإجمال.

2.3 مناسبة اسم السورة لمضمونها:

اختلف العلماء في موضوع أسماء السور حيث وقع جدل كبير بين العلماء، فالكثير منهم لم يتقبل فكرة وجود اسم للسورة، واعتبروها من المحدثات التي يكرهها العلماء، ولكن مع مرور الوقت تأكد لهم ضرورة أن يكون للسورة اسم بعد أن تنبهوا بأن العناوين التي كانوا يدونونها فيها تنويه وإشارة لأسماء السور التي كانوا يكتبونها في فواتحها والأمر الذي جعلهم يعرضونها في البداية أن المصاحف العثمانية لم تكن منقطة ولا مشكولة ولا مجزأة ولم تذكر فيها الأسماء الخاصة بالسور، لكن في نهاية الأمر أدركوا أهمية هذه الأسماء في تفسير الخطاب القرآني (رحيم، 2005، صفحة 40)، يرى الزركشي في هذا الموضوع انه لا بد من النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، فالعرب كانت تراعي في تسمية قصائدها النادر والغريب والتكرار وعليها جرت أسماء سور الكتاب العزيز وللتكرار أهمية بالغة في تحديد اسم السورة؛ لان تكرار لفظ معين أو موضوع معين في السورة وفق شروط قد يكسبه أحقية أن توسم به السورة وهو ما ورد بكثرة في القرآن الكريم؛ حيث نجد سورا مبنية على بعض الحروف، كما هو الحال في سورة (ق) وسورة (ص) اللتان وسمتا بمحذنين الحرفين لتكرارهما كثيرا في السورة والكلمات التي ورد فيها هذا الحرف كثيرة منها (قرآن، قال، الحق، فوقهم، ألقينا، باسقات، روقا، قلبهم..... وهكذا إلى نهاية السورة ولعل هذا ما جعل العلماء يسمونها بهذا الحرف، أما سور البقرة فلإن قصة بني إسرائيل مع البقر أخذت الحظ الأوفر من بين الموضوعات الأخرى، وسميت سورة النساء كذلك لما تضمنته من أحكام خاصة بالنساء (خطابي، 1991، صفحة 196)،

كذلك الأمر نفسه في سورة الأنعام فقد عرفت بهذا الاسم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث أنزلت جملة واحدة يشيعها سبعون ألفا من الملائكة، وورد اسمها عند كل من عمر بن الخطاب، وابن العباس، وابن مسعود وانس، وابن مالك، وجابر بن

عبد الله، ويقال بأنها سميت كذلك لتكرر ورود اسمها لفظاً خمس مرات (عاشور، صفحة 121)، وهذه الآيات 139/138/136، كذلك أغلب موضوعات السورة خصت الحديث عن أحكام وتشريعات خاصة بالأنعام وأكل لحومها فقد كان الجاهليون يقومون بشعائر خاصة بالذبائح وكلها كانت أسباباً ناسبت أن يطلق على هذه السورة بالأنعام والآيات التي عنت بالأحكام والتشريع هي: (145/144/143/139/138/136/121/120/119).

3.3 مناسبة الخاتمة السورة لفاتحتها:

قد يكون هذا النوع من المناسبات من أكثر الأنواع التي تسهم في عملية انسجام الخطاب القرآني، ذلك أنه يجعل الخطاب الواحد كالجمل الواحد وأحياناً تكون خاتمة السورة مقابلة أو ضد الفاتحة أو تكون نتيجة لها أو بياناً لها، فمثلاً سورة المؤمنون تفتح بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ 1/ تناسب خاتمتها التي يقول فيها المولى عز وجل: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ 117/، أما سورة الأنعام فخاتمتها تبدأ من الآية 161 وما بعدها وهي عبارة خطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم، وفيه إيذان بانتهاء السورة؛ لأن الواعظ أخطب إذا أصاب غرضه أخذ في النهاية فيعلم السامع أن الحاجة انتهت من خلال تغيير أسلوبه الخطابي، كذلك جاءت هذه الآيات تأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يقول أشياء يعلن فيها عن أصول دينه (عاشور، التحرير والتنوير، صفحة 197)، والاحلاص لله في العبادة كما فيها وعد للكافرين وإيذان بوقوع البعث وقوله تعالى ﴿إِنْ رَبِّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قابلت بين صفتين (سريع العقاب) وصفة (الغفور الرحيم)، وهما ما تضمنته موضوعات السورة فكانتا شاملتين لها ليقنع أهل الإعراض عما هم فيه، وليطمئن أهل العمل الصالح، أما وجه المناسبة مع فاتحتها، ان البداية كانت إثباتاً للألوهية وانفراد الله عز وجل بها، وأحقية العبادة لأنه مالك السماوات والأرض وما بينهما وله القدرة على خلق الموت والبعث والقدرة على تدبير الأمور والتصرف بها، والعلم بالسر والجهر والظاهر والباطن، واخيراً له الحق بأن يعاقب الظالمين ويجازي المتقين.

4.3 المناسبة بين الآيات في السورة:

اهتم بهذا النوع من المناسبات بعض المفسرين كأبي حيان في تفسيره الكبير البحر المحيط، فأظهر مناسبة الآية لما قبلها، فحاولوا من خلال ذلك البحث في العلاقات الدلالية التي تجمعها والمكوّنة لأجزاء النص القرآني، واهتمامهم منصب على إبراز الجمل والسياقات الخارجية دون الألفاظ، فهم يتعاملون مع وحدات كلية مشكّلة لأجزاء النص وعلاقتها بعضها البعض، وهو ما تدعو إليه النظريات النصية الحديثة.

وبما أن السياقات التي نزل فيها الخطاب القرآني مختلفة حسب المناسبات وأسباب نزولها، فهذا يعني أن لها علاقة كبيرة في تحديد المعنى؛ فقد يتعذر فهم معانيها دون الرجوع إلى الأسباب والسياقات والظروف التي أنزلت فيها آيات القرآن الكريم، وما يميز هذه الآيات أنها كانت تنزل متفرقة ومتفاوتة وفي أوقات مختلفة، إلا أنها كانت تشكل ذلك الكل المنسجم والحكم.

ينظر السيوطي في هذه المسألة، ويرى بأن الآية التي تذكر بعد أختها إنما يكون ذلك لظاهر الارتباط، وهو تعلق الكلم ببعضه ببعض، فلا يكون كلما إلا إذا أتم معنى الأولى، إما تكون الثانية بياناً وتأكيذاً للأولى أو تفسيراً لها، أو اعتراضاً، أما القسم الثاني من الارتباط فلا يكون ظاهراً، وإنما تظهر كل جملة مستقلة عن الأخرى، فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف أو لا تكون فإن كانت معطوفة فلا بد من توفر صلة جامعة بينهما، وإن لم تكن معطوفة فلا بد من جهة وجود جهة جامعة لاتصال الكلام، هذه الجهة هي القرائن المعنوية والدلالية، تفهم من خلال السياق (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، صفحة 978)، ومن الأساليب التي تعمل على كشف العلاقات نجد منها المضادة كذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة، والاستطراد كما في الآية الأولى من سورة الإسراء ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ عَائِيتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ١ إلى أن يقول ﴿وَأَنْتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي

وَكَيْلًا ٢ □ يطرح الزركشي تساؤلا عن وجه المناسبة بين الآيتين، فيذهب للقول أن وجه الاتصال أن الله أراد أن يطلع النبي محمد صلى الله عليه وسلم على بعض آياته وليخبره عما حدث لموسى عليه السلام وقومه، وأنه أسرى بمحمد إلى ربه كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفا وتأتي الآية الثالثة ليذكر فيها نوحا عليه السلام في قوله تعالى: □ ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ٣ □ ليتذكر بنو إسرائيل نعم الله عليهم بعدما نجاهم من الغرق فكان نوح عبدا شكورا لذا كان عليهم أن يكونوا كأيهم شاكرين الله (الزركشي، 2006، صفحة 41)، وأما التخلص هو ترك الموضوع كليا والانتقال إلى موضوع آخر.

ومن أمثلة العلاقات الدلالية بين الآيات في سورة الأنعام ما ذكره المولى عز وجل في قوله: □ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا لِمَعْشَرِ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَلَكُمْ خُلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٢٨ □ وهي ذكر لجزاء الذين لا يتذكرون، وهو جزاء الآخرة قد سبقتها آية ذكر فيها ثواب القوم الذين لا يتذكرون وثوابهم هو دار السلام (عاشور، التحرير والتنوير، صفحة 66) يقول المولى عز وجل: □ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦ □ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٢٧ □

ووجه المناسبة هنا على سبيل المضادة، ومن أمثلة التخلص قوله تعالى: □ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ □ الآية 14، ينتقل الخطاب إلى أحقية الله عز وجل بالعبودية والانفراد بالألوهية، بعدما ثبت له ملك ما في السموات والأرض وأن المصير كله يعود إليه في الآية التي سبقتها (عاشور، التحرير والتنوير، صفحة 156) ويتضح هذا في قوله تعالى: □ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢ □ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٣ □.

كذلك في الآية التاسعة عشر تخلص وانتقال إلى إخبار عام كسائر أخبار القرآن، يظهر فيه عز وجل مدى صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، وصدق الرسالة تمت بشهادة الله تعالى في الآية التي قبلها بعد قوله: □ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ١٩ □ بعد أن خاطبهم بهذا انتقل إلى إخبار عام يثبت صدق الرسالة النبوية في الآية العشرين (عاشور، التحرير والتنوير، صفحة 156)، □ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا □

ويظهر لنا انتقال وتخلص آخر في الآية 161، وهي بيان لشرائع هدى المهتدين وإبطال شرائع شرعها المضلون (عاشور، التحرير والتنوير، صفحة 30) يقول المولى عز وجل: □ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦١ □ في هذه الآية تخلص وانتقال كامل من مجادلة المشركين وغلق بابها، وإيدان بانتهاء السورة؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قد تقلد لنفسه ماكانوا يجادلونه به، وأنه على ثقة بما جاءهم به وإن ما فعلوه من إعراض وامتناء لا يمس الحق بشيء، فغير الأسلوب بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإعلانه أصول دينه.

5.3 المناسبة بين الفواصل القرآنية:

الفواصل القرآنية من الموضوعات الهامة في الدراسات القرآنية ذلك أنها تبحث في نظم الكلام وسياقه وما لها من وقع في النفس وتأثير كبير للسامع والقارئ، وتبرز الخصوصية التي يتسم بها الخطاب القرآني، وهو ما دعا العلماء يأخذونه بعين الاعتبار في بحوثهم ومنهم الزركشي، السيوطي، أو حيان التوحيدي، القاضي أبو بكر، الجعبري أبو عمر الداني والرماني.

- مفهوم الفاصلة:

يعرفها الزركشي بقوله: «كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع» (الزركشي، البرهان في وجوه البيان، 2006، صفحة 50)، فهو يشبهها بالقافية الموسيقية التي كان العرب ينسجون عليها قصائدهم، فالعرب تدرك المزية التي تحدثها القوافي في

النفس؛ من طرب وتأثير وحسن، ويعرفها القاضي أبي بكر بأنها: «حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني»، معنى هذا الفواصل تخرج عن كونها مجرد حروف تحدث إيقاعاً بين المقاطع فحسب، بل تعمل على كشف المعاني الخاصة بالآيات المشتركة في الفاصلة، فلا يحدث الانسجام الدلالي دون ارتباطها بالمعنى ارتباطاً وثيقاً، (الزركشي، البرهان في وجوه البيان، 2006، صفحة 50)، والحكمة من وجود الفاصلة في القرآن تجعل نظم الخطاب القرآني أكثر إقناعاً وأكثر تأثيراً في النفس والسمع، فهي تسهم في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه من النفس، وخروج الفواصل في كثير من الأحيان عن نسقها لأجل خلق ذلك التناسب بينها وبين بقية الآيات في مواضع متفرقة.

وتؤدي الفاصلة وظيفة نصية هامة في سورة الأنعام؛ حيث كشفت الوجه الجامع بين الآيات التي وقعت فيها وإعطائها وقعا وأثرا كبيرا في النفس، ومن النماذج التي اخترنا قوله تعالى:

□ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٩٧ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَجِدَةٍ فَمُسْتَقَرٍّ وَمُسْتَوْدَعٍ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ٩٨ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٩٩ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ١٠٠ □

جاءت هذه الآيات على فاصلة واحدة (يعلمون، يفقهون، يؤمنون، يصفون)، وحسب تفسير صاحب التحرير والتنوير (عاشور، التحرير والتنوير، صفحة 395)، أن كل آية تتضمن معنى له علاقة مع ما قبلها، إما بيان لها، أو ضد لها أو مقابلة لها، فالآية الأولى تنتهي بقوله تعالى (لقوم يعلمون) ذلك أن الآيات التي فصل الله عز وجل فيها لعباده خص بها المؤمنين؛ لأنهم هم الذين يعلمون بأن الخالق الوحيد للكون هو الله عز وجل، وهم الذين ينتفعون بنعمه، أما الفاصلة (لقوم يفقهون) ذلك أن المخاطبين كانوا معرضين عنها أي تلك الدلائل والآيات التي قدمها الله سبحانه وتعالى جعل العلم بها فقه والغوص في أعماق النفس يحتاج لكثير من التفقه والتدبر لذا خاطب القوم الذين يفقهون، وتأتي الآية الثالثة لمخاطبة القوم المؤمنين (لقوم يؤمنون) فهم المقصودون من خلال الآيتين السابقتين وهم الذين أراد الله تعالى أن ينتفعوا بنعمه.

والأمر نفسه في الآيات (152/151/153)،

الفاصلة في الآية الأولى (لعلكم تعقلون)

الفاصلة في الآية الثانية (لعلكم تذكرون)

الفاصلة في الآية الثالثة (لعلكم تتقون)

هذه الآيات جاءت متماسكة منسجمة فيما بينها؛ موضوعها جملة من الوصايا خاطب بها الله عز وجل المؤمنين مبينا لهم ما

هو حلال وما هو حرام وما ينبغي أن يكون منهم من سلوك أثناء المعاملة، قال تعالى :

□ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنَا ذَا حَرَمٍ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١ □

□ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَخِيكَ شَيْئًا وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدَيْنِ إِلَّا بِمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمَا حَقٌّ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدَيْنِ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥٢ □

□ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣ □

4. خاتمة

- في ختام هذه الدراسة يمكن القول بأن للخطاب القرآني خصوصية تجعله يختلف عن غيره من الخطابات، وأن الدراسة اللسانية النصية في القرآن الكريم تختلف عن بقية الخطابات خاصة فيما يخص الانسجام النصي إذ للخطاب القرآني طريقته وآلياته الخاصة به التي تتقاطع مع علم المناسبة؛ فقد اجتهد علماء التفسير في إظهارها وكشف طريقة عملها واشتغالها ويمكن أن نلخص أهم النتائج المتوصل إليها كالآتي:
- العلاقات بين الآيات تكون لأسباب وروابط بينها عامة كانت أو خاصة، وحسية، أو خيالية ومن العلاقات كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين.
 - من مظاهر اجتهاد علماء التفسير في علم المناسبة هو تلك الأنواع العديدة للمناسبة التي تعمل على تحقيق التماسك والانسجام المتكامل.
 - تسمية السور القرآن بأسماء محددة كان نتيجة محاكاة علماء التفسير لطريقة العرب في تسمية قصائدها، وقد أظهر العلماء أهميتها البالغة في تفسير القرآن الكريم.
 - معرفة أسباب النزول هو السبيل الوحيد الذي يمكن من معرفة المناسبة بين آيات السورة الواحدة؛ فلها علاقة كبيرة في تحديد المعنى.
 - الارتباط الدلالي بين الآيات قد يكون لارتباط ظاهر أو غير ظاهر
 - تبحث الفاصلة في نظم الكلام وسياقه وما لها من وقع في النفس وتأثير كبير للسامع والقارئ ، وتبرز الخصوصية التي يتسم بها الخطاب القرآني

قائمة المصادر والمراجع:

- الزبيدي. (1994). تاج العروس من جواهر القاموس. دار الفكر.
- الزركشي. (2006). البرهان في وجوه لبيان. مصر: دار الحديث..
- السيوطي. الإتيقان في علوم القرآن. عين مليلة: دار الهدى..
- السيوطي. (1986). تناسق الدرر ف تناسب الدرر. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير (المجلد 7). تونس: الدار التونسية.
- شعبان، مصطفى عبد الحميد. (2007). المناسبة في القرآن. الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
- عبد القادر رحيم. (2005). سيميائية العنوان في الشعر لمصطفى محمد الغماري. بسكرة: جامعة محمد خيضر.
- محمد الصالح الصديق. (2005). من روائع الإعجاز. بن عكنون الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمد خطابي. (1991). مدخل إلى انسجام النص. بيروت ، لبنان: المركز الثقافي العربي.
- محمد شلتوت. تفسير القرآن الكريم. القاهرة: دار المعلم.